

عنوان المقال:

القصة الجزائرية وتدرّسها في مرحلة التعليم المتوسط

الأستاذة: فايزة حريزي، قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة البليدة

-2

ملخص المقال :

يعتبر تدريس القصة الجزائرية في مرحلة التعليم المتوسط محل اهتمام من طرف الدراسين والباحثين وذلك لأهمية الموضوع و كذلك أمام تنوع المعتبر لطرق التدريس وكذلك القصة في هذه مرحلة لم تأخذ حظها الذي من المفروض أن تحظى به و رغم الموضوعات المهمة التي تحملها القصة التي تتنوع بين الموضوعات العاطفية و الاجتماعية و الإصلاحية وغيرها إلا أنّ حضورها يبقى محتشم بحيث نجدها تأخذ نسبة 31.37 % وهي نسبة قليلة للسنوات الأربع و هو ستة عشرة قصة من مجموع تسعة وستون قصة فنية و هي موزعة على سنوات الأربع .

تمهيد :

القصة الجزائرية كفن أدبي قفزت في بداية القرن العشرين إلى واجهة الفنون واحتلت مكانة مرموقة من حيث المعنى والمبنى، وتعددت أنواعها وتشعبت في ميدان الأدب الجزائري الحديث، سواء من حيث الإنتاج الوافر أو النوعية التي أدت بها إلى مرتبة العالية والقصة هي وليدة التأثير بالقصة العربية المشرقية وحتى الغربية فلم تنشأ من العدم، ونجد في المكتبة أسماء لأدباء جزائريين أبدعوا في هذا المجال وأخذوا في ذلك أشواطاً بعيدة من النضج الفني وتستحق هذه الأعمال الدراسة والاعتناء .

ولذلك فهي محل دراسة واعتناء من طرف الباحثين والدارسين والمتمدرسين في مختلف المستويات التعليمية من المنظومة التربوية ، وتدرّس هذا الفن في المستوى المتوسط هي محل عدة تساؤلات من حيث مكانتها بين النصوص الأخرى المكونة لمحتوى البرنامج خاص بهذه المرحلة ، وكذلك من ناحية الاهتمام الذي يختلف من سنة إلى أخرى وحتى من ناحية كيفية تدريسها في هذا المستوى والطرق المتبعة في ذلك .

ومن بين الذين تناولوا القصة الجزائرية "عبد المالك مرتاض" في كتابه (فنون النشر الجزائري الحديث) بالإضافة إلى عبد الله الركبي تناولها في كتابه (القصة الجزائرية القصيرة) .

وتدريس هذا الفن في مرحلة التعليم المتوسط هو محل اهتمام من طرف الباحثين في ميدان التربية والتعليم وذلك لمكانة هذا الفن بين الفنون الأخرى وتدرّسه في هذه المرحلة الحساسة أصبح يثير عدة تساؤلات ينبغي الإجابة عليها من خلال الدراسات الميدانية في هذا المستوى.

وتدريس أصبح من المصطلحات المهمة التي ينبغي الوقوف عليها في ميدان التعليميّة وهو في شقه اللغوي كما ورد في لسان العرب : " درست الكتاب يدرسه درسا ودراسة ذلك كأنّه عانده حتى انقاد لحفظه " 1 ، ولفظة درس وردت في عدة المواضع من القرآن الكريم :

قال تعالى : " بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ " 2.

قال تعالى : " وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا " 3.

قال تعالى : " أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ "4.

وفي شقه الاصطلاحي: كما يعرفه أحد الباحثين : بأنه عملية تعليمية يهدف المعلم إلى إكساب المتعلم استراتيجيات التعلم، التي تسمح له باكتساب المعلومات والمهارات والاتجاهات..... ويعمل على استيعابها وتوظيفها وتقويمها ويختلف المستوى (فاعلية التدريس)، باختلاف الاستراتيجية المتبعة5.

والتدريس باعتباره هو عملية تربوية هادفة وهي تمثل جانب الممارسة في العملية التعليمية وهذه الممارسة تمثل قطب مهم من أقطاب الحالة التعليمية لتبليغ الموضوع المتمثل في فن القصة وهذه الممارسة من أجل تفعيل العملية التعليمية.

والمنهج المتبع في التدريس يحمل جانبين :

المحتوى والطريقة ، ولهذا نجد المنهج التدريسي يمكن أن يكون جيد في المحتوى أو المضمون والطريقة المتبعة في العرض جيدة وهنا يكون المنهج جيد ويمكن أن يكون من ناحية المضمون جيد والطريقة المتبعة في الإلقاء سيئة فيكون هنا المنهج

ناقص رغم غنى المحتوى، ويمكن أن يكون المنهج فقير في المحتوى والجيد في الطريقة يمكن أن يغنيه ويثريه المتعلمون ، فيتدارك ذلك النقص بعكس المنهج الذي يكون غني في المحتوى ويفتقد إلى العرض ، ولذلك ينبغي مراعاة الأسس الأساسية لمنهج التدريس 6.

طرائق التدريس:

هناك اهتمام كبير بطرق التدريس من طرف خبراء التربية و ذلك من أجل تحقيق الأهداف المرجوة من ممارسة العملية التعليمية لطرق وللإحاطة وإدراك هذه الطرق و الأخذ بأحسنها وأثمرها في ميدان التدريس ومن أشهر هذه الطرق: 6

1- الطريقة الإلقائية:

هي الطريقة التي يكون فيها صوت المعلم مسموعا عند إلقائه أو قيامه بالتعليم ، وهي مناسبة للتعليم الجماعي مثل المحاضرة التي تعتمد على الشرح والتفسير ، والوصف، والقصص في حالة العرض الشفوي وتعتمد كذلك على إيضاح وسرد الأحداث .

هي الطريقة التي تمكن المتعلم من معرفة الأحكام والحقائق والبدء بالجزئيات للوصول إلى القاعدة العامة ، وهي الطريقة التي تقوم على استخدام العقل ، وتحدد خطواتها وفق مايلي : التمهيد ، العرض ، الربط ، الاستنباط والتطبيق.

3- الطريقة الحوارية : تعتمد هذه الطريقة على الحوار والنقاش أسلوبا ، لاكتشاف الحقائق ، ويتم هذا بطرح الأسئلة ليتمكن المعلم من معرفة قدرات تلاميذه ومعلوماتهم ، وحتى يتسنى للمعلم أدائها من جهة و يتمكنوا من الفهم والاستيعاب من جهة أخرى، وهذه الطريقة تساعد في تهيئة فرص التفاعل والمشاركة .

4- الطريقة التنقيبية : تقوم هذه الطريقة على البحث والتنقيش في الكتب والمصادر والمراجع فتعود التلميذ الاعتماد على نفسه، واستخدام عقله، والاطلاع والتوصل إلى صحة النتائج والحلول .

5- طريقة المشروع التعليمي : يشكل المشروع التعليمي مشكلة يقوم التلاميذ ببحثها مستخدمين الأساليب العلمية بما تتطلبه من أبحاث وتقارير، ومقابلات و زيارات ورحلات وأدوات وأجهزة تحت إشراف المعلم للوصول إلى حلّ لهذه المشكلة ويتطلب هذا

بذل الجهد والنشاط والتفكير ويضيف الباحث مجدي عزيز إبراهيم طريقة أخرى إلى هذه الطرق وتعتبر من الطرق المشهورة تتمثل في طريقة التدريس المتباين بحيث يقوم المدرس بتنويع الأساليب والطرق التي يتبعها في التدريس لمقابلة الفروق الفردية بين التلاميذ7.

تعتبر هذه الطرق المذكورة أشهر الطرائق المتبعة في ميدان التدريس ، ولكن هذه الطرق تتحدد مكانتها وفقا لما يحيط بها من ظروف اجتماعية و اقتصادية وأخرى ، تؤثر وتتأثر بالبيئة التعليمية.

وتصل إلى المتعلم في حد ذاته ، وجوانبه المعرفية وقدرته ومستواه ولكن يمكن من خلال التخطيط أن تكون الطريقة المتبعة في التدريس ناجحة وهذا التخطيط بني على التنظيم وملائمة القدرات الذاتية الخاصة بالمتعلمين إضافة إلى الشرح المبني على المعارف السابقة للمتعلمين لبناء المعرفة الجديدة المواد وإكسابها للمتعلمين وطريقة الملائمة في التدريس التي تراعي وتناسب كل أقطاب الحالة التعليمية .

والقصة ليست من الألفاظ الجديدة التي دخلت اللغة العربية حديثاً ، وإنما ورد ذكرها في التراث الأدبي والعلمي القديم ، وإن كنا نؤكد أنّ مدلولها المعنوي الفني قد طرأت عليه تغييرات كثيرة نتيجة للاتصال بالثقافات الأجنبية 8.

والقصة لغة كما وردت في لسان العرب القصص: الخبر المقصوص بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص بكسر القاف مع القصة التي تكتب ، والقصة : الأمر والحديث، والقاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتبع ألفاظها فالقصة التي تكتب ، والجملة من الكلام والحديث والأمر والخير والشأن وأصل القصص عند العرب تتبع الأثر، العالم بالآثار يسير وراء من يريد عرفة خبره وتتبع أثره، حتى ينتهي إلى موضعه الذي حل فيه 9 .

وجاءت هذه اللفظة في دائرة المعارف: " تتبع وتقصي أخبار الناس وفعالهم شيئاً بعد شيء أو حادثة بعد حادثة " 10.

وفي شقها الاصطلاحي : " كما يعرفها أحد الباحثين هي : سرد الأحداث و لا يشترط فيها إتقان الحكمة ، ولكنه ينسب إلى راو، وأهميتها تنحصر في حكاية الأحداث ، وإثارة اهتمام القارئ أو

المستمع، لا الكشف عن خبايا النفس والبراعة في رسم الشخصيات"11.

وهناك تعريف لمحمود تيمور أكثر دقة بأنها: " قالب من قوالب التعبير، يعتمد فيها الكاتب على سرد أحداث معينة، تجري بين شخصية وأخرى، أو أشخاص متعددة تستند في قصها وسردها عنصر التشويق ، حتى يصل بالقارئ أو السامع إلى نقطة معينة تتأزم فيها الأحداث وتسمى العقدة، ويتطلع المرء معها إلى الحل، حتى يأتي الحل في النهاية " 12.

ونجد في كتاب السنة الثالثة متوسط تعريف لها بأنها :
"حدث متصل بشخص من الأشخاص وما يدور فيها من الحديث عليهم وعلى أعمالهم "13.

والقصة لها علاقة وثيقة بحياة الإنسان اليومية منذ فجر التاريخ فلا تكاد تخلو منها حياة أي شعب من الشعوب سواء كانت مدونة أم مروية 14.

والقصة في سيرورتها تتألف من عناصر : العقدة ، الزمن ، المكان ، المغزى، الشخصيات ، الحوار ، بحيث تبدأ بالتمهيد للفكرة أو التقديم لها ، ثم تتطرق إلى ظهور العقدة حيث

تتأزم الأحداث ، ثم تتوصل إلى حلّ هذه العقدة أو ما يشبه الحل
15، والنجاح الفني مرتبط بتماسك هذه العناصر من حيث
الأحداث والشخصيات والأسلوب والبيئة 16 .

والقصة الجزائرية هي وسيلة للتعبير عن الواقع والمجتمع
سواء مكتوبا بالعربية أو الفرنسية وهو فن حافل بالإنجازات وقد
أثرى الأدب الجزائري وسمحت لبعض مبدعيه بدخول الأدب
العالمي من خلالها .

في عملية تدريس القصة ينبغي أن يكون تدريس هذا
الفن قائم على مبدأ اختياري وهذا ما نراه من خلال البرنامج
المخصص للتلاميذ التعليم المتوسط في مادة اللغة العربية في
المستويات الأربع ، فالقصص مخصصة للمتعلمين في مستويات
الأربع تختلف عن القصص المخصص للمتعلمين في المستوى
الابتدائي والثانوي ، فالقصص المخصص للمستوى المتوسط تلائم
المتعلمين ومستواهم الفكري والعمرى (سني)، فهي توافق السن
الذي يمر به التلاميذ ووفق لقدراتهم العلمية والمعرفية والفكرية
والنفسية .

وهذا ما يؤكد أحد الباحثين بقوله : " أما عن الفوارق بين الجنسين في مراحل النمو ، ففي السن الحادي عشرة إلى ثمانية عشرة يزداد اهتمام البنين بالأمور الرياضية والمغامرات ، بينما تزداد رغبة الإناث فيما يصور حياة البيت والمدرسة ويدور حول الحب والمدرسة و يدور حول الحب والغرام ، وفي سن الخامسة عشر تظهر في البنين الرغبة فيما يتصل بالمهن والأعمال ، أما البنات فيفضلن ما يتسم بالفكاهة والخيال " 17.

فمبدأ الاختيار ضروري في إدراج القصة الجزائرية ضمن البرنامج التعليم المتوسط حتى يكون هناك مردود في العملية التعليمية .

ومن أنواع القصص التي ينبغي أن تقدم للتلاميذ في مراحل التعليم المختلفة منها مرحلة التعليم المتوسط نجد:

1-قصص الأخلاق والمثل العليا:من شأن قصص

الأخلاق والمثل العليا أن تربي الأطفال على حب الناس و احترامهم ، ومساعداتهم و التضحية في سبيلهم وتحبيبهم للحق ونصيرته .

2- القصص الاجتماعية: تهدف هذه القصص إلى

تصوير أنماط مختلفة من حياة الشرائح الاجتماعية التي تعيش في مجتمع التلميذ ، يقصد التعرف على الطرائق المختلفة للتعامل مع المجتمع .

3- القصص التاريخية : تقدم القصص التاريخية سير

الرموز البشرية المشهورة في الأمة. و الذين تركت أعمالهم علامات فارقة على درب التاريخ قديما وحديثا ، والذين غيروا بأعمالهم العلمية والعملية مسارات غير صحيحة للأمة أو تتضمن حياة أعمال المشاهير آخرين من الأمم الأخرى ، وتهدف هذه القصص إلى تخليد هؤلاء الرواد وتربية النشأ على السير على خطاهم18 .

4- قصص المغامرات : تتناول قصص المغامرات حياة

بعض الرحالة والمكتشفين و الأشخاص الذين يساعدون في كشف الجرائم وتعقب المجرمين الخارجين عن القانون وعن قيم المجتمع ، ومثل هذه القصص تنمي حب الاستطلاع عند التلاميذ وتستوقفهم إلى متابعة الأمور ، ولكن يجب أن يبتعد فيها عن

التهويل ، كما لا يجب أن تقدم فيها الأمور مبسطة إلى درجة يبدو قيام الأطفال بها ممكنا .

5-القصص الفكاهي :يهدف القص الفكاهي إلى تقديم

المتعة وتجديد النشاط ، ومساعدته أن يضفي على حياته مع أسرته لونا من المدح والدعابة و السعادة .

6-القصص الرمزية: يهدف القص الرمزي إلى تقديم

العظة والعبرة والتوجه إلى سلوك الحميد ، والنفور من السيء عن طريق الإيحاء والتمثل لا عن طريق الوعظ والإرشاد.

من الموضوعات التي تناولتها القصص الفنية الجزائرية

وهي مبنوثة في الكتب المدرسية في مختلف المستويات .

الموضوعات العاطفية: وهي التي اتخذت من الحب

معينا تستلهم منه ، و ركيزة تسير أحداث القصة عليها ، ومن

القصاص الجزائريين الذين كتبوا في العاطفة ومسائل الحب نذكر

أحمد رضا حوحو صاحبة الوحي و خولة .

الموضوعات الاجتماعية: يعتبر الموضوع الاجتماعي

من بين المواضيع التي تناولتها القصة الفنية الجزائرية وهي

حاضرة في الكتب المدرسية ومن بين الكتاب الذين عالجوا في قصصهم مواضيع اجتماعية أحمد بن عاشور ، في قصته "تضحية" وقد عالج فيها مشكلة السحر والشعوذة و كذلك تعرض لموضوع العنوسة وذلك في قصة "عانس" وقصة الزواج العصري 19 .

الموضوعات الإصلاحية : أخذ حظه في قصة الجزائرية و كانت جمعية العلماء المسلمين منهلا صافيا ينهل منه القصص الجزائريون وذلك من : "خلال المقالات الإصلاحية التي كانت تكتب في البصائر ومن خلال مواقف رجال جمعية العلماء أنفسهم" 20.

ومن بين الكتاب في الموضوع الإصلاحي محمد الصالح من خلال أقصوصة (القافلة) ومحمد سعيد الزاهري و كان يعالج مواضيع الإصلاح باعتباره كان صحفيا مصلحا.

الموضوعات النفسية: يعتبر أبو القاسم سعد الله من الشخصيات التي كتبت في الموضوع النفسي القصصي وذلك من خلال قصة سعة خضراء 21 .

أنواع القصص:

من حيث الطول و القصر :

الأقصوصة: وهي من ناحية الحجم قصيرة و هذا النوع نجده أكثر رواجاً عند الكتاب الجزائريين وممن كتب في الأقصوصة: أحمد بن عاشور ، أبو العيد دودو .

القصة القصيرة: و هي بين الأقصوصة و الرواية من الكتاب الجزائريين الذين كتبوا في هذا أبو العيد دودو وكذلك عبد الحميد بن هدوقة ، والرواية هي أوسع من القصة في أحداثها ولقت استقبالا كبيراً عند الجزائريين أمثال ، أمين زاوي ، وسيني الأعرج ، أحلام مستغانم و غيرهم .

ومن حيث العرض نجد : قصة الحوادث ، قصة الشخصيات ، القصة التمثيلية ، القصة التاريخية²².

والقصة الفنية الجزائرية كما يرى عبد الله الركبي أنّها ظهرت في شكلها البدائي الأول بظهور الصحف العربية وأواخر العقد الثالث في شكلي " المقال القصصي والصورة القصصية²³".

إنّ المقال القصصي هو شكل أول لبداية القصة ، يبدأ فيه الكاتب بمقدمة خطابية وعظمية ، ويتبعها لسرد الأحداث، وقد يعكس هذا فيبدأ بسرد و وصف للمناظر أو الحوادث ثم يعقب بخطبة، أو مقال قصير يقول فيه الهدف والفكرة التي يكتب من أجلها²⁴.

أمّا الصورة القصصية فهي البداية الحقيقيّة للقصة الجزائرية ، و هي تهدف إلى رسم صورة للطبيعية أو صورة كاريكاتورية ، للشخصية إنسانية أو التركيز على فكرة معينة .
وصف و نقد لحضور القصة الفنية الجزائرية في كتاب
اللغة العربية في مرحلة التعليم المتوسط :

يظهر من خلال النصوص المبنوثة في كتب اللغة العربية للسنوات الأربع من التعليم المتوسط والتي تنتمي إلى أجناس أدبية مختلفة منها القصة الفنية الجزائرية إما مكتوبة باللغة العربية أو مترجمة عن اللغة الفرنسية .

وتبين من خلال عملية الإحصاء التي قمت بها في هذا البحث أنّ حضور القصة الفنية الجزائرية في كتب اللغة العربية للسنوات الأربع هو ستة عشرة قصة من مجموع سبعة وستون

قصة فنية وبذلك أخذت نسبة 31,37 وهي نسبة قليلة بمقارنة مع المكانة التي أخذتها في النثر الفني الحديث، وهذا دليل على عدم الاهتمام بالقصة الجزائرية بحيث نجد النسبة موزعة كما يلي:

و بحيث كان حضورها في كتاب اللغة العربية في سنة الأولى من التعليم المتوسط هو أربعة قصص والمتمثل في قصة فداء الوطن وهي أقصوصة وموضوعها تضحية الشيخ بولده ونفسه من أجل وطنه الأم ، و القصة الثانية شجاعة فدائي وهي لحنفي بن عيسى وهي أقصوصة و موضوعها تصور شجاعة مخلوف وتضحيته من أجل وطنه والقصة الثالثة تتمثل في قصة الرجوع إلى الوطن لمولود فرعون ، وهي من رواية الدروب الوعرة و موضوعها الشوق والحنين إلى الوطن و فرحة العودة إليه و القصة الرابعة : مقهى القرية لمولود فرعون وهي قصة من رواية الأرض والدم وموضوعها هو تصوير لافتتاح أول مقهى في القرية . 25

وحضورها في كتاب السنة الثانية من التعليم المتوسط قصة واحدة وهي تحت عنوان الدروب الوعرة وهي من دروب الوعرة لمولود فرعون وموضوعها الرحيل 26 .

و حضورها في كتاب السنة الثالثة من التعليم المتوسط ، كانت ثلاثة قصص أولها: الحوات والقصر لطاهر وطار ، وصباح القرية وهي قصة لمولود فرعون من دروب الوعة و موضوعها وصف لأجواء الصباح في القرية ، وقصة الحصاد لعبد الحميد بن هدوقة من رواية ربح الجنوب 27 .

حضورها في كتاب السنة الرابعة من التعليم المتوسط

:28

هناك صور سلوكية لأبي العيد دودو من رواية (صور سلوكية) يتحدث فيها عن الشخص الذي جاءه إلى مكتبه و أهده كتابا من تأليفه و قصة الثانية الزردة لعبد الحميد بن هدوقة وهي من رواية جازية و الدراويش وموضوعها الزردة و ما يحدث فيها كمناسبة .

والقصة الثالثة : جازية و الدراويش وموضوعها وصف تغير أخلاق الناس مع مرور الزمن و انتشار الكثير من العادات الحميدة ، و القصة الخامسة الطفولة ومشاكلها في القرية وهي من رواية نجل الفقير لمولود فرعون ، والقصة السادسة رحلة غريبة وسط الغابة وما يترتب عن ذلك و هي من رواية نجمة للكاتب

ياسين وقصة برنوس الذي خلق نوع من الاختلال وقد أشرنا إلى هذا سابقا ، والأكثر من هذا التشابه في المواضيع في السنوات الأربع معناه افتقاد التنوع والتركيز على بعض القصص دون الأخرى كدروب الوعة لمولود فرعون ، فالتنوع بدوره يعطي قيمة للمحتوى فيما يخص موضوع القصة الفنية واكتساب المتعلم للجديد.

من العملية الوصف التي قمت فيها في الكتب اللغة العربية للسنوات الأربعة لاحظت ملاحظة مهمة هو عدم الاستعمال إستراتيجية محكمة في اختيار وبرمجة القصص الجزائرية في هذا المستوى الحساس من المراحل التعليمية ونجد رغم ثراء المكتبة الجزائرية بأسماء ثقيلة في هذا الفن إلا أنّ حضورها من خلال هذا المستوى والذي كان محتشم و من المفروض أنّ القصة تستحق مكانة أفضل من هذه لأنها لم تبق في ميدان الوطنية فهي لها مكان بين القصص العالمية مثلها مثل بقية القصص الأخرى ألا يحق لها بالحضور بنسب التي تحضر بها القصص الأخرى في غير وطنها الأصلي في الحين يكون حضور صاحبة الدار ثانوي وما يمكن أن تقترحه هو إعادة النظر

في الكم الحضورى والنوعى للقصة فى هذا المستوى و إعطائها المكانة المستحقة .

قائمة المصادر والمراجع :

- 1- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ،لبنان ،ط1، 1997، ج2، ص:376
- 2- سورة آل عمران ، الآية :44
- 3- سورة الأعراف ،الآية :16
- 4- سورة النبأ، الآية :44
- 5- لخضر رزىق ، طرائق التدريس الحية والمقاربة بالكفاءات ، دار هومة ، الجزائر ، 2005، ض:10
- 6- سمير كبرىت ، منهاج المعلم والإدارة التربوية ، ط1، دار النهضة العربية، 1998 ، ص:36 ، 40 ، 39.
- 7- مجدى عزىز إبراهىم ، التدريس الإبداعى وتعلّم التفكير ، ط1 ، مؤسسة عالم الفكر ، القاهرة ، 2005، ص:60 .
- 8- تطور البنىة الفنية فى القصة الجزائرىة المعاصرة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1998 ، ص:6

- 9- ابن منظور ، لسان العرب ، ط1 ، دار الصادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، 1997 ، ج5، ص:270 .
- 10- فؤاد البستاني ، دائرة المعارف الإسلامية ،بيروت ، لبنان ،1969 ، مادة قص.
- 11- مجدي وهبة وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية ، ط2، مكتبة بيروت ، لبنان ، 1948، ص:289.
- 12- محمود تيمور ،دراسات في المسرح ، (ط1،ط2)، المطبعة النموذجية ، مصر ، ص:99 .
- 13- وزارة التربية الوطنية ، كتاب اللغة العربية السنة الثالثة ، ط1، ديوان المطبوعات المدرسية ، الجزائر ، 2007، ص:147 .
- 14- تطور البنية الفنية في القصة المعاصرة ، المرجع السابق ، ص:11
- 15- محمد تيمور ، المرجع السابق ، ص:101
- 16- تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1947 - 1985) ، المرجع السابق ، ص:12 .
- 17- وليد جابر ، تدريس اللغة العربية ، ط1، دار الفكر ، 1991، ص:47.
- 18- المرجع نفسه ، ص:46
- 19- المرجع نفسه ، ص:89 .

- 20- عبد المالك مرتاض ، فنون النثر الحديث في الجزائر ، (دط،
دت)، للمطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 ، ص:186 .
- 21- المرجع نفسه ، ص:182.
- 22- محمد يونس النجم ، فن القصة ، دار الصادر للطباعة والنشر
،بيروت ،لبنان ، 1996، ص:112،119 .
- 23- عبد الله الركيبي ، القصة الجزائرية القصيرة ، المؤسسة الوطنية
للكتاب ، الجزائر ، ص:13 .
- 24- المرجع نفسه ، ص: 55
- 25-وزارة التربية الوطنية ، كتاب اللغة العربية السنة الأولى متوسط ،
الطبعة الأولى الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، الجزائر .
- 26-وزارة التربية الوطنية كتاب اللغة العربية السنة الثانية ،الطبعة
الأولى ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية2007،2006 ، الجزائر .
- 27-وزارة التربية الوطنية ، كتاب اللغة العربية السنة الثانية ، الطبعة
1،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2007،2006، الجزائر .
- 28-وزارة التربية الوطنية ،كتاب اللغة العربية السنة الرابعة ، الطبعة
الأولى ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية2006،2007 ، الجزائر .

عنوان المقال:

تطور مفاهيم النحو، وضرورة مواكبتها

الأستاذ: محفوظ بن عربية - جامعة البليدة 02-

ملخص المقال:

اهتم علماء اللغة العربية بالنحو قديما وحديثا ولهذا وجدنا عدة مفاهيم للنحو حاولنا أن نبرزها للقارئ حتى يلحظ تطور النحو وتعدد مشاريعه. ثم لاحظنا اختلاف مفهوم النحو بين العلمي والتعليمي وهذا بحسب الحاجة؛ فمرحلة التأسيس كانت للنحو العلمي ومرحلة البسط كانت للنحو التعليمي؛ لهذا كله نحاول أن نقدم مقالا نتطرق فيه إلى النحو العلمي وتعدد مفاهيمه ثم إلى النحو التعليمي وأهم طرق تعليمه وأهمية الشاهد في العملية التعليمية.

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل العربية لنا لسانا، وزادها شرفا وبيانا، وأنزل بحروفها الذكر قرآنا، أحمده تعالى الرحمن الذي خلق الإنسان، وهده بالقرآن، وعلمه البيان؛ وبعد: فالناظر لواقع اللغة العربية يرى عجبا فأبناؤها لاقوا من تعلمها نصبا أما غيرهم فلا

يجدون لها سببا، وقد حفل القرآن الكريم والسنة المطهرة بما يحث على تعلم اللغة العربية إذ ذكر لفظ (عربي_عربيا) إحدى عشرة مرة في القرآن الكريم كمثل قوله تعالى: ﴿لَوْلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِي وَعَرَبِيٌّ ۚ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ﴾¹ ومما ثبت في السنة المشرفة أن أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله ما لك أفصحنا لسانا وأبيننا بيانا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (إن العربية اندرست فجاءني بها جبريل غضة طرية كما شقَّ على لسان إسماعيل عليه السلام)² ولهذا سنحاول -بعون الله- فتح نافذة على النحو بشقيه العلمي والتعليمي حيث ركزنا على تغير دلالات النحو بحسب منطقاتها وتفاعلاتها مع علوم اللغة الحديثة ثم عرجنا على أهم الطرائق التي تساعد على تيسيره للطلاب وكما لا يفهم أن النحو هو الإعراب فقط؛ هذا الأخير الذي جعل كفزاعة ترهب كل من يقترب نحو اللغة العربية.

1- النحو العلمي:

1-1 مفهوم النحو عند القدامى والمحدثين:

1-1-1 مفهوم النحو عند القدامى: تعددت معاني النحو

العلمي عند القدامى فنجد أبا بكر بن محمد بن السري يعرف مضمونه بقوله: " النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة".³ ومن بعده أبو علي الفارسي يقول: " النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب وهو ينقسم قسمين: أحدهما تغيير يلحق أواخر الكلم والآخر تغيير يلحق ذوات الكلم وأنفسها"⁴ وبعدهما ابن جني يعرفه بقوله: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية، والجمع، والتحقيق، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية، بأهلها في الفصاحة، فينطقها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها".⁵ أو كما عرفه السيد الشريف الجرجاني "هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل: النحو علم يعرف به أحوال الكلم

من حيث الإللال، وقيل علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده".6

1-1-2 مفهوم النحو عند المحدثين:

1-1-2-1 تعليق المحدثين على مفهوم القدامى ومفهومهم له: التعريفات السابقة عند المحدثين لم تقدّر حقيقة النحو حق قدرها فنجد إبراهيم مصطفى يعلق بقوله: " يقول النحاة في تحديد علم النحو - إنه علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء - فيقتصرون بحثه على الحرف الأخير من الكلمة، بل على خاصة من خواصه، وهي الإعراب والبناء. ثم هم لا يعنون كثيرا بالبناء، ولا يطيّلون البحث في أحكامه، وإنما يجعلون مهمهم منه بيان أسبابه وعمله . . . فالنحاة حين قصروا النحو على أواخر الكلمات وعلى تعرّف أحكامها قد ضيّقوا من حدوده الواسعة، وسلكوا به طريقا منحرفا، إلى غاية قاصرة، وضيّعوا كثيرا من أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارة".7 أما الدكتور بن حويلي ميدني فيعقب على هذه التعاريف بتعليق أوسع قليلا يصبو من خلاله إلى توسيع أفق النحو بمنظور معاصر، فيفصح: "ليست وافية للغرض بالمفهوم المعاصر لوظيفة اللغة البشرية ولا هي

محيط الوصف لوظيفة النحو العميقة وذلك لاعتمادها في الغالب على النظر في الظواهر والبنية السطحية والآثار الملموسة كعلامات الإعراب الظاهرة والمقدرة وبلغ من سذاجة الأحكام عند بعض الدارسين أن جعل الإعراب هو النحو واعتقد بأنه من أظهر الحركات الإعرابية زادت في ميزان حسناته ومن لم يضبط أواخر الكلمات بالحركات المناسبة عد مخلا بالنحو عي اللسان ولا نصيب له في حسبه".⁸ وهذا ما جعل مهدي المخزومي ينظر إليه نظرة معاصرة تتسم ببعض الشمول الذي أغفل قديما وهذا ربما راجع لاكتمال نضج الدرس النحوي من حيث الدراسة لأن فنون علم اللغة كانت جديدة آنذاك وكانت تسعى للاكتمال الذاتي فجعلت عملية التأثير والتأثر المؤثرة في صيرورة النمو غائبة؛ فهو بهذا يرى أن النحو " مفهوم شامل يعالج صرح اللسان العربي وينبني على دراسة متكاملة لمستويات اللغة مثل الصرف والتراكيب والدلالة وغيرها وكذلك دراسة مختلف الأساليب النحوية التقليدية من توكيد وشرط ونفي واستفهام واستثناء واستخدام هذه الأساليب على النحو الذي يتفق مع ما تتطلبه مناسبات القول أو حال المخاطب "⁹

1-1-2-2 مفهوم النحو في اللسانيات المعاصرة: نجد

النحو يختلف في المفاهيم اللسانية المعاصرة فيتشكل من نظامين هما علم الصرف والنظم كما يفهمه الدكتور بن حويلي: "والعلاقة بين النظامين علاقة تكامل وهما أساس البناء القاعدي لمكونات النحو الهيكلية فالنحو باعتباره توصيفا للغة بتمامها لابد إذن أن يلامس أسس نظام اللغة".¹⁰ فعلم الصرف يسميه بعضهم الاشتقاق أو التشكيل الصوتي وينصب أساس نشاطه على دراسة التغيرات الشكلية للكلمات ويتضمن دراسة نشأة الألفاظ وطبيعة حروفها وكل ما يعترئها من تغيرات في البناء والوزن والصيغة وما يقابل ذلك من وظائف دلالية ونحوية في إطار القواعد الخاصة بكل لسان معين بالدراسة وهذه القواعد هي التي تجعل للكلمة مميزاتها وخصائصها على مستوى الكلم المركب.¹¹ وأما النظم فهو جزء من علم النحو العام وينصب أساس نشاطه على دراسة العلائق الوظيفية بين الكلمات ويتضح الأثر في معالجة أجزاء الجملة من حيث المكانة والترتيب والعلاقة بين عناصرها وطبيعة وظيفتها إلى غير ذلك مما يهم العلاقات الترابطية بين أجزاء الكلام وتبيان القواعد اللغوية الخاصة التي تحكمها وتميزها عن كل لسان

من الألسن البشرية الأخرى فالنظم قائم على توحي معاني النحو فهذا ليس معناه جمع الكلم كيفما اتفق وإنما يقتضي تأليفها وتناسقها وتجانسها وتلاحمها كما تتلاحم السدى واللحمة في النسيج وتتناسق ألوانه ويتناسب كل لون وما يجانسه حتى يؤلف ضربا خاصا من التأليف.12

2-1 مصطلح النحو وتعدد المشارب: تتعدد استعمالات

مصطلح النحو بتعدد مشاربه ومن أمثلته ما يأتي:

1-2-1 النحو التوليدي: هو من اقتراح نعام تشومسكي في

تركيب الجمل على عدة أوجه بشرط أن يبقى التركيب صحيحا إذن هو مجموعة القواعد التي تمكن الإنسان المتكلم من توليد مجموعة من الجمل المفهومة ذات البناء الصحيح دون أن يسمعها من قبل.13 أو هو يرمي إلى تحليل إبداعية اللغة التي تنتج لفرد معين فهم وإنتاج جمل ما سمع بها أبدا.14

2-2-1 النحو الوصفي: ظهر على يد فرديناند دي

سوسير وهو يهدف إلى البحث بنيات وخصائص وتحليل ميكانيزمات اللسان وتركيبها ومستويات استعماله ومراقبة مسار تطوره ومعالجة مشاكله لتعميق فهمنا لطبيعة اللغة الإنسانية.15

1-2-3 النحو الوظيفي: هو مجموعة القواعد التي تبين

الوظيفة الأساسية للنحو كدراسة وظائف الحروف والأدوات بوصفها حاملة معاني للربط والتعليق ووظائف الكلمات داخل التراكيب من إسناد وتعدية ووظائف الجمل العامة من خبر وإنشاء وكل ما يساعد على أداء الوظيفة الإبلابية العامة للغة في إطار ما يعرف بالربط بين المقال والمقام. 16

1-2-4 النحو المعياري: يستمد من المنهج المعياري

شرعيته وهو مجموعة من القواعد التي ينبغي اتباعها والتقيد المطلق بتوجيهاتها. 17

2- النحو التعليمي:

1-2 مفهوم النحو التعليمي: من مفاهيمه ما ذكره عبادة

محمد بقوله: " هو ما صنف لبيان الضوابط التي تميز الصواب من الخطأ في التراكيب وبنية المفردات وما صنف في تطبيق هذه الضوابط على النصوص سواء أكانت هذه المصنفات مختصرة للمبتدئين أو كانت مفصلة للشادين أم مطولة للمتخصصين فالغرض منها مختصرة أو مطولة تعليم النحو وإن اختلفت المستويات التعليمية". 18

2-2 الفرق بين النحو العلمي والنحو التعليمي: نجد تمايزا

بينه وبين النحو العلمي يمكن أن نجمل بعض فروقه أن النحو العلمي له طابع نظري بينما النحو التعليمي فطابعه تعليمي بحيث يوصل المعلومة. كما أن النحو العلمي يظهر من خلاله فلسفة النحو غير أن النحو التعليمي يبرز في كيفية محاولة توصيل القاعدة النحوية للمتعلم. إضافة إلى هذين الفرقين يمكن أن نضيف أن النحو العلمي يقتصر على علماء النحو بينما النحو التعليمي فهو يصلح لغير طلبة النحو المتخصصين فيه ويتجاوزهم لعلماء الآداب الإنسانية.

2-3 طرق تدريس النحو في إطار النحو التعليمي:

سنتطرق لبعض طرق التعليم التي تساعد على اكتساب النحو، ولعل أبرز ما نقف عليه من بينها أربع طرق هي:

2-3-1 الطريقة القياسية: يعرفها بعضهم بقوله: "الطريقة

القياسية التي تقوم على البدء بحفظ القاعدة ثم اتباعها بالأمثلة والشواهد المؤكدة لها" 19 وتعرف أيضا: "هي الانطلاق من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء أي من القاعدة النحوية المقصودة إلى الأمثلة التي توضح هذه القاعدة" 20

2-3-2 الطريقة الاستنباطية الاستقرائية: يبدأ فيها من

الجزء للوصول إلى الكل 21 وهذا بوضع أمثلة عامة تتناسب مع القاعدة حيث تجعل هذه الأخيرة خلاصة للدرس.

2-3-3 طريقة النص الأدبي: هي مشابهة للثانية بحيث

تجمع الأمثلة في نص واحد " تقوم على عرض النص الأدبي المترابط الأفكار، وهي تسير بكتابة النص الأدبي أمام التلاميذ مع كتابة الأمثلة المرغوب في دراستها بخط مميز أو وضع خط تحتها وبعد أن يقرأها التلاميذ يناقشهم المعلم بالأمثلة المميزة حتى يصل إلى استنباط القاعدة "22

2-3-4 طريقة حل المشكلات: أساسها جعل التلميذ في

مشكلة لا ينجو منها إلا بالرجوع إلى القاعدة "تقوم هذه الطريقة على دروس التعبير أو القراءة والنصوص حتى يتخذ المعلم هذه النصوص والموضوعات نقطة البدء لإثارة المشكلة التي تدور حول ظاهرة أو قاعدة نحو ثم يلفت نظرهم إلى أن هذه الظاهرة ستكون دراسة موضوع النحو المقرر ثم يكلفهم جمع الأمثلة المرتبطة بهذه المشكلة من الموضوعات التي بين أيديهم أو من غيرها ومناقشتها حتى يستنبط القاعدة "23

2-4 حتمية العناية بالشاهد لتعلم النحو: كانت هذه جملة

من الطرائق تلمسنا فيها علاقة نحو الصنعة ونحو الطبع بالنحو التعليمي حيث لا يمكن أن يتعلم النحو دون أمثلة توضح المقصود وترسخ القاعدة فلهذا بجدر بنا أن نهتم بالشاهد اهتمامنا بالقاعدة وفي هذا يقول سعيد الأفغاني: "لم يعد يقبل في هذا العصر عرض القواعد دون مناقشة ما تستند إليه من شواهد لأن الشواهد روح تلك القواعد تضي عليها حياة وامتعة وأصالة وعلى هذه المادة في الجامعات أن تكون ثقافة شواهد أكثر مما هي ثقافة قواعد" 24 ومن هذا يمكن أن نخلص أننا كلما ابتعدنا عن نحو الصنعة الذي يصطنع أمثلة جامدة كضرب زيد عمرا واقتربنا إلى نحو الطبع من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية وأبيات شعرية مشهورة سهل علينا حفظ القاعدة النحوية والعمل بها ولعل هذا ما دفع أحد الشعراء بالقول:

لا ولا فيه أرغب	لست للنحو جئكم
أبد الدهر يضرب	أنا مالي ولا مرئ
حيث ما شاء يذهب	خل زيدا لشانه

خلاصة:

ومن هذا نخلص إلى أنه يجب إعادة النظر في مفهوم النحو ليتماهى مع علم اللغة الحديث ولكن لا ننسى ونحن ننظر إلى السماء أننا نقف على الأرض لأن الرصيد الذي تركه أسلافنا لا يمكننا الاستغناء عنه أو لا يمكننا الانطلاق إلى منه، كما يجب أن نعيد النظر في طرق التدريس الحديثة ليعلم النحو بأمثل طريقة دون تهويل ولا تهوين.

الهوامش:

1 سورة فصلت، الآية 44.

2 جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير، السيوطي: جلال الدين (849 - 911)، دار السعادة للطباعة - الأزهر الشريف - مصر - ج: 2، 367.

3 الأصول في النحو، ابن السراج، أبو بكر محمد (ت: 316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - 1996- ج: 1 ص 35.

- 4 التكملة (وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي)، أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد (288-377هـ)، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، طبع بجامعة الرياض - السعودية - الطبعة الأولى - 1981، ص3.
- 5 الخصائص، ابن جني: أبو الفتح عثمان (ت: 392)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية بيروت ج1، ص34.
- 6 التعريفات، السيد: علي بن محمد الشريف الجرجاني (816هـ / 1413 م)، تحقيق: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير - القاهرة - مصر - 2004، ص202
- 7 إحياء النحو، إبراهيم مصطفى (ت: 1962)، مطبعة لجنة النشر والتأليف - القاهرة - مصر - الطبعة الثانية - 1992، ص1-3.
- 8 واقع النحو التعليمي العربي بين الحاجة التربوية والتعقيد المزمّن ابن حويلي ميدني جامعة الزائر (الجزائر) مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 05 جوان 2009، ص6.
- 9 نقلا عن واقع النحو التعليمي العربي بين الحاجة التربوية والتعقيد المزمّن ابن حويلي ميدني، ص5/ في النحو العربي (نقد وتوجيه)، مهدي المخرومي، المكتبة العربية - صيدا - لبنان - 1964، ص17، 18.
- 10 واقع النحو التعليمي العربي بين الحاجة التربوية والتعقيد المزمّن ابن حويلي ميدني، ص6.
- 11 المرجع نفسه، ص7.
- 12 نقلا عن ابن حويلي ميدني في واقع النحو التعليمي العربي بين الحاجة التربوية والتعقيد المزمّن، ص7، 8. / وقائع لغوية وأنظار نحوية سالم علوي دار هومة للطباعة والنشر الجزائر 2000 ص 25.

- 13 واقع النحو التعليمي العربي بين الحاجة التربوية والتعقيد المزمّن د/ ابن حويلي ميدني، ص9، 10.
- 14 النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم- تقريب توليدي وأسلوبى وتداولي- ، محمد سويتري، أفريقيا الشرق - 2007، ص 32.
- 15 واقع النحو التعليمي العربي بين الحاجة التربوية والتعقيد المزمّن د/ ابن حويلي ميدني، ص10.
- 16 نقلا عن بن حويلي ميدني في واقع النحو التعليمي العربي بين الحاجة التربوية والتعقيد المزمّن، ص11/ اللغة معناها ومبناها، تمام حسان، ص266.
- 17 واقع النحو التعليمي العربي بين الحاجة التربوية والتعقيد المزمّن د/ ابن حويلي ميدني، ص 11.
- 18 النحو التعليمي في التراث العربي عبادة محمد ص 15
- 19 نقلا عن بلخير شنين في طرق تدريس القواعد النحوية وعلاقتها بذكر ابن خلدون، ص2 / طرق تدريس اللغة العربية علي أحمد مذكور دار الميسرة للنشر والتوزيع عمان (الأردن) 2010 ص258
- 20 بلخير شنين في طرق تدريس القواعد النحوية وعلاقتها بذكر ابن خلدون، ص2
- 21 نقلا عن بلخير شنين في طرق تدريس القواعد النحوية وعلاقتها بذكر ابن خلدون / طرق تدريس اللغة العربية زكرياء إسماعيل دار المعرفة الجامعية ش قناة السويس الشاطبي 2005 ص 224

- 22 طرق تدريس القواعد النحوية وعلاقتها بذكر ابن خلدون أ/بلخير
شنين جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر) مجلة الأثر العدد
13/مارس 2012
- 23 المرجع نفسه، ص 7.
- 24 المجيز في قواعد اللغة، سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع - بيروت - لبنان - 2003، ص 3.